

لمجدد الدعوة النجدية، شيخ الإسلام، علم الهداة الأعلام

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

وفيه بيان عقيدته وما دعا إليه، وبضع رسائل له، في بيان حقيقة التوحيد وكلمته
والشرك الجلي والخفي والنفاق الاعتقادي والعملي.

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى

توحيد الألوهية وما طرأ عليه من الشرك بدعاء غير الله

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين. سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

وبعد: أخبركم أني، والله الحمد، عقيدتي وديني أدِين الله به: مذهب أهل السنة
والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة،
لكني بَيَّنْتُ للناس إخلاصَ الدين ونهيتهم عن دعوة الأنبياء والأموات من الصالحين
وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من: الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير
ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت
إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة. وأنا صاحب
منصب في قريتي، مسموع الكلمة، فأنكر هذا بعض الرؤساء؛ لكونه خالف عادة
نشؤوا عليها.

وأيضاً ألزمتُ مَنْ تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله.
ونهيته عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في
هذا وعيبه؛ لكونه مُسْتَحْسَنًا عند العوام؛ فجعلوا قذحهم وعداوتهم فيما أُمِرُ به من
التوحيد، وما نهيتهم عنه من الشرك، ولَبَّسُوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه

الناس، وكبرتُ الفتنة جدا، وأجلبوا علينا بخیل الشیطان ورجله، فنقول:

التوحد نوعان توحد الربوبية، وهو أن الله سبحانه- متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم، وهذا حق لا بد منه؛ لكن لا يُدْخِلُ الرجلَ في الإسلام، بل أكثر الناس مقرّون به، قال الله -تعالى-: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}** 1. وإن الذي يدخل

1 سورة يونس آية: 31.

ص -3- الرجل في الإسلام هو: توحيد الإلهية، وهو: أن لا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بُعثَ والجاهلية يعبدون أشياء مع الله: فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة؛ فنهاهم عن هذا، وأخبرهم أن الله أرسله لِيُوحِّدَ؛ ولا يُدْعَى أحدٌ لا الملائكة ولا الأنبياء، فمن اتبعه ووحده الله: فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم، والتجأ إليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا هو.

وهذه جملة لها بسطٌ طويلٌ، ولكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء، فلما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقِدَّةِ بِالْقِدَّةِ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه" 1، وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}** 2 وصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلاني، وأحمد البدوي، وعدي بن مسافر، وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح، صاح عليهم

أهل العلم من جميع الطوائف أعني على الداعين.

وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم، وبَيَّنَّ أهل العلم في أمثال هذا أنه هو الشريك الأكبر وعبادة الأصنام، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِیُعْبَدَ وحده، ولا يدعى معه إله آخر.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل: الشمس والقمر والصالحين، والتمثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تُنْزَلُ المطرَ أو تُنْبِتُ النباتَ، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تَنْهَى عن أن يُدْعَى أحدٌ من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

1 البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (7320) , وابن ماجه: الفتن (3994) , وأحمد (511/2).

2 سورة التوبة آية: 31.

ص -4- بأنهم يدعون الملائكة والأولياء والصالحين، ويريدون شفاعتهم

والتقرب إليهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا

جاءت الشدائد أخلصوا لله. قال الله تعالى: **{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ**

تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ} 1 الآية.

دعوة الرسل إلى توحيد الألوهية

واعلم أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه- بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به

إلى عبادِه. فأولهم نوح -عليه السلام- أرسله الله إلى قومه؛ لما غلّوا في الصالحين: وَدًّا وَسَوَاعٍ وَيَعُوثٌ وَيَعُوقٌ وَنَسْرًا. وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي كسّر صورَ هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيرا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل: الملائكة وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين.

فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلا عن غيرهما، وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يخلق ولا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا، فاقرا قوله تعالى: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}** 2. وقوله تعالى: **{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ**

1 سورة الإسراء آية: 67.

2 سورة يونس آية: 31.

شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ

فَأَنِّي تُسْخَرُونَ} 1.

وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق أنهم يقرون بهذا كله، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرفت² أن التوحيد الذي جحدوه، وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله -سبحانه وتعالى- ليلا ونهارا خوفا وطمعا. ثم منهم من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين لأجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم، ويدعو رجلا صالحا مثل اللات، أو نبيا مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على ذلك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} 3. وقال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ} 4 الآية.

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدين كله لله، والدعاء كله لله، والذبح كله لله، والنذر كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت⁵ حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون. وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا، أو وليا أو شجرة، أو قبرا أو جنيا، لم يريدوا أن الإله هو: الخالق الرازق المدبر، فإنهم يقرون أن ذلك لله

1 سورة المؤمنون آية: 84: 89.

2 قوله وعرفت- لم يتقدمه ما يصح عطفه عليه ولعل أصل الكلام: فإذا عرفت أن

التوحيد إلخ وإلا كان هنالك شرط عطف هذا عليه، وسقط من الناسخ كان يكون: إذا عرفت ذلك.

3 سورة الجن آية: 18.

4 سورة الرعد آية: 14.

5 هذه الجملة جواب الشرط المذكور.

ص -6- وحده، كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله: ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد.

فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله. والمراد من هذه الكلمة: معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجاهل يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو: إفراد الله بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} 1.

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك؛ فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من معنى هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاقد منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل، جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله.

الشرك بدعاء الصالحين وغيرهم هو شرك عباد الأصنام

فإذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا

يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ} 2 الآية، وعرفت دين الله الذي بعث به

الرسول من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وعرفت ما أصبح

غالب الناس اليوم فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، قال الله تعالى: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ**

فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} 3. وأفادك أيضا الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن

الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد

يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما

قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: **{اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ**

آلِهَةٌ} 4، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله. واعلم أن الله

سبحانه- من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي

1 سورة ص آية: 5.

2 سورة النساء آية: 48.

3 سورة يونس آية: 58.

4 سورة الأعراف آية: 138.

ص -7- **بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}** 1.

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج كما قال تعالى: **{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ**

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} 2.

فإذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل

فصاحة وعلم وحجج كما قال تعالى: **{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ**

سَبِيلِ اللَّهِ} 3 الآية. فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا تقاتل به

هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومُقدّمهم لربك عز وجل: **{لَا قُعْدَنَ لَهُمْ صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}**4 ولكن إن أقبلت على الله، وأصغيت إلى حجج الله وبياناته، فلا تخف ولا تحزن: **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**5. والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: **{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}**6؛ فجنده هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

وإنما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله علينا بكتابه الذي جعله تبييناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبيّن بطلانها كما قال تعالى: **{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}**7. قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

بيان من كفرهم إمام الوهابية ومن قاتلهم

والحاصل: أن كل ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فكله من البهتان، وما أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين! فإني لما بينتُ لهم كلام الله، وما ذكر أهل التفسير في قوله تعالى: **{وَلَنِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}**8 الآية، وقوله: **{وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}**9، وقوله: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}**10، وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ**

1 سورة الأنعام آية: 112.

2 سورة غافر آية: 83.

3 سورة الأعراف آية: 86.

4 سورة الأعراف آية: 16.

5 سورة النساء آية: 76.

6 سورة الصافات آية: 173.

7 سورة الفرقان آية: 33.

8 سورة الإسراء آية: 57.

9 سورة يونس آية: 18.

10 سورة الزمر آية: 3.

ص -11- وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ {1 الآية.

وغير ذلك، قالوا: لا يجوز العمل لنا ولا لمثلنا بكلام الله ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون.

ولما قلت لهم: أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، والمالكي والشافعي والحنبلي؛ كُلُّ أخاصمه يكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم، فلما أبوا ذلك نقلت كلام العلماء من كل مذهب لأهله. وذكرت كل ما قالوا بعدما صُرِّحَتْ الدعوة عند القبور والنذر لها، فعرفوا ذلك وتحققوه؛ فلم يزداهم إلا نفورا.

وأما التكفير: فإنني أكفر مَنْ عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبَّه ونَهَى الناس عنه، وعادى مَنْ فعله، فهذا هو الذي أَكْفَرُهُ، وأكثر الأمة -و الله الحمد- ليسوا كذلك.

وأما القتال: فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أَتَوْنَا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها. وكذلك مَنْ جَاهَرَ بسبِّ دين الرسول بعد ما عرفه.

فإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه؛ وأن الواجب إشاعته في الناس،

وتعليمه النساء والرجال، فرحم الله من أدى الواجب عليه، وتاب إلى الله، وأقر على نفسه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ونسأل الله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضى. والله أعلم.

1 سورة يونس آية: 31.

ص -9- رسالته في المسائل الخمس الواجبة معرفتها

الإنذار عن الشرك بالله

وله أيضا - قدس الله روحه، ونور ضريحه- ما نصه:

الواجب عليك أن تعرف خمس مسائل:

(الأولى): أن الله لما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، كان أول كلمة أرسله الله بها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}** 1، ومعنى قوله: **{فَأَنْذِرْ}**: الإنذار عن الشرك بالله. وكانوا يجعلونه دينا يتقربون به إلى الله تعالى مع أنهم يفعلون من الظلم والفواحش ما لا يحصى، ويعلمون أنه معصية.

فمن فهم فهما جيدا أن الله أمره بالإنذار عن دينهم الذي يتقربون به إلى الله قبل الإنذار عن الزنى ونكاح الأمهات والأخوات، وعرف الشرك الذي يفعلونه، رأى العجب العجائب، خصوصا إن عرف أن شركهم دون شرك كثير من الناس اليوم لقوله تعالى: **{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}** 2.

التوحيد هو إخلاص الدين لله تعالى

(الثانية): أنه لما أنذرهم عن الشرك، أمرهم بالتوحيد الذي هو إخلاص الدين لله

تعالى، وهو معنى قوله تعالى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} 3، يعني: عظمه بالإخلاص. وليس

المراد تكبير الأذان وغيره؛ فإنه لم يشرع إلا في المدينة.

فإذا عرف الإنسان أن ترك الشرك لا ينفع إلا إذا لبس ثوب الإخلاص، وفهم الإخلاص فهما جيدا، وعرف ما عليه كثير من الناس من ظنهم أن الإخلاص وترك دعوة الصالحين نقص لهم، كما قال النصارى: إن محمدا يشتم عيسى، لما ذكر أنه عبد الله ورسوله ليس يعبد مع الله تعالى، فمن فهم هذا عرف غربة الإسلام، خصوصا إن أحضر بقلبه ما فعل الذين يَدْعُونَ

1 سورة المدثر آية: 1: 3.

2 سورة الزمر آية: 8.

3 سورة المدثر آية: 3.

ص -10- أنهم من العلماء؛ من معاداة هذه المسألة وتكفيرهم مَنْ دَانَ بها

وجاهدهم مع عُبَاد قُبَّة أَبِي طالب وأمثالها، وقبة الكواز وأمثالها، وقتواهم لهم بحل دماننا وأموالنا؛ لتركنا ما هم عليه. ويقولون لهم: إنهم ينكرون دينكم.

فلا تعرف هذه والتي قبلها إلا بإحضارك في ذهنك ما علمت أنهم فعلوا مع أهل هذه المسألة، وما فعلوا مع المشركين؛ فحينئذ تعرف أن دين الإسلام ليس مجرد المعرفة:

فإن إبليس وفرعون يعرفونه، وكذلك اليهود يعرفونه كما يعرفون آباءهم، وإنما

الإسلام هو: العمل بذلك والحب والبغض، وترك موالاة الآباء والأبناء في هذا.

الرسول عليه السلام جاء ليصدق ويتبع

(الثالثة): أن تُحْضِرَ بقلبك أن الله سبحانه- لم يرسل الرسول إلا لِيُصَدِّقَ وَيُتَّبَعَ، ولم

يرسله لِيُكَذِّبَ وَيُعْصَى. فإذا تأملت إقرار من يدعي أنه من العلماء بالتوحيد وأنه دين

الله ورسوله، لكن من دخل فيه فهو من الخوارج الذين تحل دماؤهم وأموالهم، ومن أبغضه وسبّه وصَدَّ الناس عنه فهو الذي على الحق، وكذلك إقرارهم بالشرك وقولهم: ليس عندنا قبة نعبدُها، بل جهادهم الجهاد المعروف مع أهل القباب، وأن من فارقهم حل ماله ودمه، فإذا عرف الإنسان هذه المسألة الثالثة كما ينبغي، وعرف أنه اجتمع في قلبه، ولو يوما واحدا أن قلبه قَبِلَ كلامهم: أن التوحيد دينُ الله ورسوله، ولكن لا بد من بغضه وعداوته، وأن ما عليه أهل القباب هو الشرك، ولكن هم السواد الأعظم، وهم على الحق، ولا يقول: إنهم يفعلون الشرك، فاجتماع هذه الأضداد في القلب مع أنها أبلغ من الجنون؛ فهي من أعظم قدرة الله تعالى وهي من أعظم ما يعرفك بالله وبنفسك، ومن عرف نفسه وعرف ربه، ثم أمره فكيف إذا علمت أن هذين الضدين اجتماعا في قلب صالح وحيوان وأمثالهما أكثر من عشرين سنة.

الشرك يحبط العمل ولو لأجل الإسلام

(الرابعة): أنك تعلم أن الله أنزل على رسوله: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**

لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} 1، مع أنهم راودوه

1 سورة الزمر آية: 65.

ص -11- على قول كلمة أو فعل مرة واحدة، ووعدوه أن ذلك يقودهم إلى

الإسلام.

إذا عرفت أن أعظم أهل الإخلاص وأكثرهم حسنات، لو قال كلمة الشرك مع كراهيته لها ليقود غيره بها إلى الإسلام حبط عمله وصار من الخاسرين؛ فكيف بمن أظهر أنه منهم، وتكلم بمائة كلمة؛ لأجل تجارة، أو لأجل أن يحج؛ لما مَنَعُوا الموحدين من الحج كما منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى فتح الله مكة؟

فمن فهم هذا فهما جيذاً، انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك. ولكن إن عرفت هذه بعد أربع سنين فَنِعِمَّيْ لَكَ، أعني: المعرفة التامة كما تعرف أن قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره.

الإيمان بما جاء به الرسول عليه السلام كله

(الخامسة): أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض الإيمان بما جاء به كله لا تفريق فيه، فمن آمن ببعض وكفر ببعض، فهو كافر حقاً، بل لا بد من الإيمان بالكتاب كله. فإذا عرفت أن من الناس من يصلي ويصوم، ويترك كثيراً من المحرمات؛ لكن لا يُورَثُونَ المرأة، ويزعمون أن ذلك هو الذي ينبغي اتباعه، بل لو ورثها أحد عندهم وخالف عاداتهم لأنكرت قلوبهم ذلك.

أو ينكر عدة المرأة في بيت زوجها مع علمه بقول الله تعالى: **{ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ }**¹، ويزعم أن تركها في بيت زوجها لا يصلح، وأن إخراجها منه هو الذي ينبغي فعله، أو أنكر التحية بالسلام مع معرفته أن الله شرعها حبا لتحية الجاهلية لما ألفها، فهذا يكفر؛ لأنه آمن ببعض، وكفر ببعض، بخلاف من فعل المعصية أو ترك الفرض مثل فعل الزنى وترك بر الوالدين مع اعترافه أنه مخطيء وأن أمر الله هو الصواب².
واعلم أنني مثلتُ لك بهذه الثلاث؛ لتحذو عليها؛ فإن عند الناس من هذا

1 سورة الطلاق آية: 1.

2 يعني أن الكفر في: استقباح شرع الله، وتفضيل العادات المحرمة عليه؛ لا مجرد فعل المحرم مع اعتقاد فاعله أنه مذنب وأن فعله قبيح.

عند أهلهم، ولو يفعل أحدٌ ما ذكر الله ويترك العادة لأنكروا عليه وَاسْتَسْفَهُوهُ، بخلاف مَنْ يفعل أو يترك مع اعترافه بالخطأ، وإيمانه بما ذكر الله. واعلم أن هذه المسألة الخامسة من أشد ما على الناس خطرا في وقتنا بسبب غربة الإسلام، والله أعلم.

رسالة في النفاق بقسميه وصفات المنافقين

النفاق الأكبر والأصغر

قال -أسكنه الله الفردوس الأعلى:-

اعلم -رحمك الله- أن الله تعالى منذ بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وأعزّه بالهجرة والنصر صار الناس ثلاثة أقسام: قسم مؤمنون، وهم الذين آمنوا به ظاهرا وباطنا، وقسم كفار: وهم الذين أظهروا الكفر به، وقسم منافقون: وهم الذين آمنوا به ظاهرا لا باطنا. ولهذا افتتح الله سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة في صفة المنافقين.

وكل واحد من: الإيمان، والكفر، والنفاق، له دعائم وشُعَب كما دل عليه الكتاب والسنة، وكما فسرهُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه. فمن النفاق ما هو: نفاق أكبر، ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، مثل أن يُظْهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المَسَرَّة بانخفاض دينه، أو المَسَاءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله، وهذا القدر موجود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وما زال بعده أكثر من عهده؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى، فإذا كانت مع قوتها، والنفاق موجود فوجوده فيما دون ذلك أولى به، وهذا ضرب النفاق الأكبر، والعياذ بالله.

ص -13-

وأما النفاق الأصغر: فهو نفاق الأعمال ونحوها، مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، أو يخون إذا ائتمن، للحديث المشهور عنه صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم" 1.

صفات المنافقين

ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد، فإنه من خصال المنافقين لقوله صلى الله عليه وسلم: "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" 2 رواه مسلم.

وقد أنزل الله سورة براءة التي تُسمَّى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين كما قاله ابن عباس رضي الله عنه- قال: "هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذُكرَ فيها"، وعن المقداد بن الأسود قال: هي سورة البُحُوث؛ لأنها بحثت عن سرائر المنافقين. وقال قتادة: هي المثيرة؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين.

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة تبوك، وقد أعز الله الإسلام وأظهره؛ فكشف فيها عن أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجبن والبخل. فأما الجبن فهو: ترك الجهاد، وأما البخل فهو: عن النفقة في سبيل الله.

وقال تعالى: **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ}** 3 الآية. وقال: **{وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ}** 4 الآية.

فأما وصفهم فيها بالجبن والفرع فقد قال تعالى: **{وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً}** 5 يلجئون إليه مثل المعقل والحصون **{أَوْ مَغَارَاتٍ يَغُورُونَ فِيهَا كَمَا يَغُورُ الْمَاءُ، {أَوْ مُدْخَلًا}** وهو الذي يتكلف الدخول

إليه ولو بكلفة ومشقة، {لَوْلُوا إِلَيْهِ} عن الجهاد {وَهُمْ يَجْمَحُونَ} 6 أي: يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء؛ كالفرس الجموح الذي إذا حمل لم يرده اللجام. وقد قال تعالى:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ

-
- 1 البخاري: الإيمان (33) , ومسلم: الإيمان (59) , والترمذي: الإيمان (2631) , والنسائي: الإيمان وشرائعه (5021) , وأحمد (357/2, 397/2, 536/2).
2 مسلم: الإمارة (1910) , والنسائي: الجهاد (3097) , وأبو داود: الجهاد (2502).
3 سورة آل عمران آية: 180.

ص -14- وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} 1. فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد. وقال تعالى: {لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} 2 الآيتين. فهذا إخبار من الله أن المؤمن لا يستأذن في ترك الجهاد، وإنما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله، فكيف بالتارك من غير استئذان؟
وقال في وصفهم بالشح: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ} 3 إلى قوله: {وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ} 4؛ فإذا كان هذا دَمُ الله - تبارك وتعالى - لمن أنفق وهو كاره، فكيف بمن ترك النفقة رأساً؟

وقد أخبر أن المنافقين لما قربوا من المدينة؛ تارة يقولون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فأنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين، وقاتلتم عليه وخالفتموهم. وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا، وإلا لو كنا قد سافرنا، ما أصابنا

هذا.

وتارة يقولون: أنتم مع قلتكم وضعفكم تريدون أن تكسروا العدو، وقد غركم دينكم.
وتارة يقولون: أنتم مجانين لا عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم وتهلكوا الناس معكم.
وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذي، فأخبر الله عنهم بقوله عز وجل: **{يَحْسَبُونَ
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ
أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا}** 5، فوصفهم -تبارك وتعالى- بثلاثة
أوصاف:

الأول: أنهم -لخوفهم- يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد، وهذا حال الجبان الذي
في قلبه مرض، فإن قلبه يبادر إلى تصديق الخبر المخوف، وتكذيب خبر الأمن.
الوصف الثاني: أن الأحزاب إذا جاؤوا تَمَنَّوْا أن لا يكونوا بينكم؛ بل في البداية بين
الأعراب يسألون عن أنبائكم: أيش خبر المدينة؟ وأيش خبر الناس؟.
الوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا، وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلا. وهذه الصفات
الثلاث منطبقة على كثير من الناس.

1 سورة الحجرات آية: 15.

2 سورة التوبة آية: 44.

3 سورة التوبة آية: 54.

4 سورة التوبة آية: 54.

5 سورة الأحزاب آية: 20.

حقيقة معنى لا إله إلا الله

رسالة في كلمة لا إله إلا الله بين فيها حقيقة التوحيد ومعناه، وكونه لا يُنَجَّى من النار سواه.

وله في معنى لا إله إلا الله ما نصه:

قال -رحمه الله تعالى-: هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله، وبيان التوحيد الذي هو: حق الله على العبيد، وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امرأً نصح نفسه وعرف أن وراءه جنة ونارا، وأن الله عز وجل جعل لكل منهما أعمالاً. فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة: توحيد الله تعالى. فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعاً، ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال، ورأس أعمال أهل النار: الشرك بالله. فمن مات على ذلك، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار والصدقة والإحسان؛ فهو من أهل النار قطعاً، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية؛ ويزهد في الدنيا ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله؛ تعالى الله عن ذلك.

قال الله عز وجل: **{وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}** 1. وقال تعالى: **{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ}** 2 الآية.

فرحم الله امرأً تنبه لهذا الأمر العظيم، قبل أن يعرض الظالم على يديه ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً!

نسأل الله أن يهدينا، وإخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم: العلماء الذين علموا ولم يعملوا، وطريق الضالين وهم: العباد الجهال فما أعظم هذا الدعاء! وما أحوج من دعا به أن يُخلص قلبه في كل ركعة

1 سورة الفرقان آية: 23.

2 سورة إبراهيم آية: 18.

ص -16- إذا قرأ بها بين يدي الله -تعالى- أن يهديه وأن ينجيهِ؛ فإن الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في الفاتحة؛ إذا دعا به الإنسان من قلب حاضر. (فنقول): لا إله إلا الله هي: العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية ملة إبراهيم، وهي التي جعلها الله عز وجل كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} 1. وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} 2، والمراد معنى هذه الكلمة، وأما التلطف باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع، فإن المنافقين يقولونها، وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار.

(فاعلم) أن معنى هذه الكلمة نفى الإلهية عما سوى الله -تبارك وتعالى- وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَوَرَّثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا} 3. وقال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} 4. وقال تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا} 5 الآية.

فإذا قيل: لا خالق إلا الله؛ فهذا معروف، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل. وإذا قيل: لا يرزق إلا الله فكذلك. فإذا قيل: لا إله إلا الله فكذلك. فتفكر رحمك الله! واسأل عن معنى لا إله إلا الله، كما تسأل عن معنى الخالق والرازق. فاعلم أن

الإله هو المعبود؛ هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذهُ إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل، إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علواً كبيراً.

العبادة وأنواعها

والعبادة أنواع كثيرة لكني أمثلها بأنواع كثيرة لا تُتكرر: من ذلك السجود:

1 سورة الذاريات آية: 56.

2 سورة النحل آية: 36.

3 سورة مريم آية: 93، 95.

4 سورة النبأ آية: 38.

5 سورة النحل آية: 111.

ص -17- فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل ولا لوليٍّ. ومن ذلك الذبح: فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده، كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ}** 1 والنسك هو: الذبح، وقال: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ}** 2؛ فتفطن لهذا.

واعلم أن مَنْ ذبح لغير الله من جني أو قبر، فهو كما لو سجد له. وقد لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قال: **"لعن الله من ذبح لغير الله"** 3.

ومن أنواع العبادة: الدعاء: كما كان المؤمنون يدعون الله ليلاً ونهاراً في الشدة والرخاء وحده، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة 4.

فتفكر -رحمك الله- أنه فيما حَدَّثَ في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء: هذا يريد سفرا فيأتي عند قبر أو غيره، فيدخل عليه بماله على من يَنْهَبُه. وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر فيستغيث بعبد القادر أو السمان أو بنبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء، أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله هو: المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة؛ فكيف تدعو مخلوقا ميتا عاجزا وتترك الحي القيوم، الرؤوف الرحيم القدير؟ فيقول هذا المشرك: إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك.

1 سورة الأنعام آية: 162.

2 سورة الكوثر آية: 2.

3 مسلم: الأضاحي (1978) , والنسائي: الضحايا (4422) , وأحمد (108/1), (152/1, 118/1).

4 وهو أعلى الأنواع، وأدلها على الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، فالسجود إنما كان عبادة بحكم الشرع، وقد كان عادة في التحية من قبل، ومنه سجود يعقوب وأولاده لولده يوسف عليهم السلام. وأما الدعاء فهو: ركن العبادة الأعظم بمقتضى الفطرة، وفي دين الله على ألسنة جميع الأمم، ولذلك قال (ص): "الدعاء هو العبادة" رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من حديث النعمان بن بشير وأبو يعلى من حديث البراء؛ وفي معناه: "الدعاء مخ العبادة" رواه الترمذي من حديث أنس.

ص -18- يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال

تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا

عِنْدَ اللَّهِ} 1. وقوله {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ

رُفْقَى} 2. وإلا فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار كما أخبر عنهم

بقوله: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ} 3.

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة ونارا، هذا

الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} 4 الآية. وقال: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَأْوَاهُ النَّارُ} 5. فما بعد هذا البيان بيان! إذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم

يقرون أنه هو الخالق الرازق، والمحيي المميت الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا من

الذين يعتقدون فيهم التقرب والشفاعة عند الله -تعالى-.

{فكم من} آية في القرآن ذكر الله فيها هذا، كقوله تعالى: {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} 6 - إلى قوله- {فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} 7. وكقوله: {وَلَنِ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} 8 {وَلَنِ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} 9، وغير

ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم أنهم أقروا بهذا لله وحده، وأنهم ما أرادوا من

الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة، لا غير ذلك.

الشرك بعبادة الأصنام كالشرك بعبادة الأنبياء والصالحين

فإن احتج بعض المشركين أن أولئك يعتقدون في أصنام من حجارة وخشب، ونحن

نعتمد في الصالحين. قيل له: والكفار أيضا منهم من يعتقد في الصالحين مثل:

-
- 1 سورة يونس آية: 18.
 - 2 سورة الزمر آية: 3.
 - 3 سورة يونس آية: 31.
 - 4 سورة النساء آية: 48.
 - 5 سورة المائدة آية: 72.
 - 6 سورة المؤمنون آية: 84.
 - 7 سورة المؤمنون آية: 89.
 - 8 سورة العنكبوت آية: 61.
 - 9 سورة العنكبوت آية: 63.

ص -19- الملائكة وعيسى بن مريم. وفي الأولياء مثل: العزيز واللات، وناس من الجن. وقد ذكر الله عز وجل في كتابه ما يدل على هذا، فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} 1. وقال: {لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى} 2.

وقال فيمن اعتقد في عيسى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} 3.

وقال: {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} 4؛ فإذا كان عيسى بن مريم -وهو من أفضل الرسل- قيل فيه هذا، فكيف بعبد القادر أو غيره؛ إذ يقال فيه: إنه يملك ضرا أو نفعاً؟.

وقال في حق الأولياء: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ

عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا⁵. قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيرا والمسيح فقال الله: هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي. فرحم الله امرأ تفكر في هذه الآية العظيمة، وفيما نزلت فيه، وتفكر أن الذين اعتقدوا فيهم إنما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده بهم، وهذا كله يدور على كلمتين: الأولى: أن تعرف أن الكفار يعرفون أن الله - سبحانه - هو الخالق الرازق الذي يدبر الأمر وحده، وإنما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله - تعالى -.

والثانية: أن تعرف أن منهم أناساً يعتقدون في أناس من الأنبياء والصالحين مثل: عيسى والعزير والأولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الأصنام من الحجر والشجر واحداً، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين الذين يعتقدون في الأوثان من الخشب والحجر، والذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين؛

1 سورة سبأ آية: 40.

2 سورة الأنبياء آية: 28.

3 سورة النساء آية: 171.

4 سورة المائدة آية: 76.

5 سورة الإسراء آية: 56.

ص -20- إذا تبين هذا لك عرفت دين الله.

ولو قال المشرك بعد ذلك: هذا بيّن نعرفه في أول الأمر ولا نخاف منه.

عناية القرآن بمحو الشرك من القلوب والبراءة من أهله

قيل: إن كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومن أنواع الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين، فإن عرفت هذا بلا تعلم فأنت أعلم منهم، بل الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علّمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}** 1 وقال تعالى: **{وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}** 2.

فإذا كان هذا حال نبينا، وحال الخليل إبراهيم -عليه السلام- إذ يوصي بها أولاده وهم أنبياء. قال الله تعالى: **{وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** 3. وقال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}** 4؛ فإذا كان هذا الأمر لا يخاف على المسلمين منه، فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيهِ، وهم أنبياء؛ حيث قال: **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}** 5. ما بال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور جعله في هذا الأمر، وأكثر الكلام فيه وبَيَّنَّه، وضرب فيه الأمثال، وحذّر منه وأبدى وأعاد؟ فإذا كان الناس يفهمونه بلا تعلم، ولا يخاف عليهم منه، فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه؟ فسبحان من طَبَعَ على قلب من شاء من خلقه، فأصمهم وأعمى أبصارهم!

وأنت يا مَنْ مَنَّ الله عليه بالإسلام، وعرف معنى: لا إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت: هذا هو الحق وتارك ما سواه 6، لكن لا أتعرض لهم ولا أقول فيهم شيئا، لا تظن أنك غير عاصٍ ربك، بل لا بد من بغضهم وبغض من يحبهم، ومسبتهم

2 سورة الزمر آية: 65.

3 سورة البقرة آية: 132.

4 سورة لقمان آية: 13.

5 سورة إبراهيم آية: 35.

6 كذا في الأصل ويظهر أنه سقط من هنا شيء.

ص -21- ومعاداتهم، كما قال أبوك إبراهيم والذين معه لقومهم: {إِنَّا بَرَاءٌ

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} 1. وقال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} 2 الآية، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} 3.

ولو قال رجل: أنا أتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحق، لكن لا أتعرض

للات والعزى، ولا أتعرض لأبي جهل وأمثاله، ما عليّ منهم؟ لم يصح إسلامه.

وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت ما أمروا الناس بهذا ولا رضوا

به، فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل ولا

ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، وإذا رأوا رجلاً موحدًا منكراً لهذا الشرك

سبوه وآذوه، وإذا رأوا مشركاً كافراً تابعا للشيطان قربوه وأحبوه وزوجوه بناتهم

وعَدُّوا ذلك شرفاً.

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب، فإنه لو حضر عندهم ويسمع بعض المشركين

يقول: جاءتني شدة فجنّت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخلصني، لم يجز أن

يقول هذا القائل: لا يضر ولا ينفع إلا الله، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه

الطواغيت، بل لو قدروا على قتله لقتلوه. وبالجملّة لا يقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا

فَدَعَوْاهُمْ هَذِهِ وَتُخَوِّفُهُمُ النَّاسَ، وَذَكَرَهُمُ السَّوَالِفُ الْكُفْرِيَّةُ الَّتِي اشْتَهَرَتْ عَنْ آبَائِهِمْ
 مشهور، لا ينكره من عرف حالهم كما قال تعالى: **{شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ}** 4.
 العبرة فيما ذكر الله عن المشركين إذا مسهم الضر
 ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر. قال تعالى في حق الكفار:
{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا} 5، فذكر عن الكفار أنهم إذا
 جاءتهم الشدة تركوا غيره، وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا إذا جاءتهم الشدة والضر
 التجؤوا إلى غير الله -سبحانه وتعالى- عن ذلك. فرحم الله مَنْ تفكر في هذه الآية
 وغيرها من الآيات.

1 سورة الممتحنة آية: 4.

2 سورة البقرة آية: 256.

3 سورة النحل آية: 36.

4 سورة التوبة آية: 17.

5 سورة الإسراء آية: 67.

ص -22- وأما مَنْ مَنَّْ الله عليه بالمعرفة، فليحمد الله تعالى. وإن أشكل عليه
 شيء، فليسال أهل العلم عما قال الله ورسوله ولا يبادر بالإنكار؛ لأنه إن رَدَّ: رَدَّ عَلَى
 الله. قال الله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}** 1.

الباطل لا يصير حقا بعظمة قائله وجلالته

اعلم -رحمك الله- أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيها بعض المصنفين -على

جهالة- لم يُفْطَن لها؛ من ذلك قوله في البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألؤذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

وفي الهمزية من جنس هذا وغيره أشياء كثيرة، وهذا من الدعاء الذي هو العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده، وإن جادلك بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: كيف هذا؟ فقل له: أعلم منه وأجل أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين، وقد قالوا: {يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}؛ 2؛ فإذا خفي هذا على بني إسرائيل مع جلالتهم وفضلهم، فما ظنك بغيرهم 3. وقل لهذا الجاهل:

1 سورة السجدة آية: 22.

2 سورة الأعراف آية: 138.

3 فيه أن بني إسرائيل الذين قالوا هذا القول: لم يكونوا أصحاب جلالة وفضل ولا علم بالدين، ولا كانت التوراة نزلت عليهم، وإنما كانوا مشركين أنقذهم موسى عليه السلام- من ظلم فرعون وقومه؛ ليتخذ منهم شعبا يعبد الله وحده ويقم دينه، وقد أجابهم موسى -عليه السلام- بقوله: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، وقد اتخذوا العجل بعد ذلك وعبدوه. وفي القرآن، وكذا في التوراة من ذم قوم موسى وتمردهم وعنتهم وإيذائهم له في عهد التشريع العجيب العجيب، وأما تفضيل بني إسرائيل على العالمين في زمانهم، فالمراد به جملتهم بما كان فيهم من الأنبياء والصالحين من قبل موسى إلى عهد عيسى -عليهم السلام- (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون).

ص -23- أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد 1 لما مروا بشجرة فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى: **{اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}** 2. ففي هذا عبرتان عظيمتان:

(الأولى): أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه متخذها إلهًا، وإلا فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق، وإنما ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة.

(والعبرة الثانية): أن الشريك قد يقع ممن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"الشريك أخفى من دبيب النمل"** 3 بخلاف قول الجاهل: هذا بيّن نعرفه.

فإذا أشكل عليك من هذا شيء، وأردت بيانه من كلام أهل العلم، وإنكار جنس الشريك الذي حرمه الله فهو موجود، وابتحث عن كلام العلماء في هذا، إن أردت من الحنابلة، وإن أردت من غيرهم. والله أعلم.

1 كان ينبغي أن يقال بعض أصحاب محمد _ صلى الله عليه وسلم - من أهل مكة، فإن الذين قالوا هذا ليسوا أعلمهم بالخلفاء والعبادة مثلاً، وإنما هم الطلقاء الذين كانوا حديثي عهد بالشرك، بل كان بعضهم لا يزال على شركه كما ظهر في غزوة حنين فتنبه. وكتبه محمد رشيد.

2 سورة الأعراف آية: 138.

3 أحمد (403/4).

ص -24- رسالة أخرى في الشهادتين وبعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -

ودلائل رسالته

معنى كون أهل السنة لا يكفرون أهل القبلة

قال -صلى الله عليه من شأبيب بره ورحمته ووالى-:

هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وقد غلط أهل زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بأدلة على ذلك تلتبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يُفْضِي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم" 1 الحديث. وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن شفاعته: من أحق بها يوم القيامة؟ قال: "من قال لا إله إلا الله

خالصا من قلبه" 2. وقوله صلى الله عليه وسلم: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة" 3. وكذلك حديث عتب بن مالك: "فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله" 4.

وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها أو سمعها من غيره طابت نفسه، وقرت عينه، واستنقذه المساعد على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك. فلو أنه دعا غير الله أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له: لم ير ذلك شركا، ولا محرما، ولا مكروها؛ فإذا أنكر عليه أحدٌ بعض ما ينافي التوحيد لله، والعمل بما أمر الله أشمأز ونفر وعارض بقوله: قال رسول الله، وقال رسول الله، وهذا لم يدر حقيقة الحال.

فلو كان الأمر كما قال؛ لما قال الصديق - رضي الله عنه- في أهل الردة: والله لو منعوني عناقا- أو قال عقالا- كانوا يؤدونه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم عليه. أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا لا إله إلا الله؟ وما يصنع هذا الجاهل

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوارج: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم، فإنهم شر قتيل

-
- 1 البخاري: الجهاد والسير (2946) , ومسلم: الإيمان (21) , والترمذي: الإيمان (2606) , والنسائي: الجهاد (3090, 3095) وتحريم الدم (3971, 3972, 3974, 3976, 3977, 3978) , وأبو داود: الجهاد (2640) , وابن ماجه: الفتن (3927, 3928, 332/3, 300/3, 528/2, 502/2, 423/2, 377/2, 11/1) وأحمد (394/3, 339/3, 373/2).
 - 2 البخاري: العلم (99) , وأحمد (373/2).
 - 3 أبو داود: الجنائز (3116) , وأحمد (247/5, 233/5).
 - 4 البخاري: الصلاة (425) والأطعمة (5401) , ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (33).

ص -25- تحت أديم السماء"1؟

أفيظن هذا الجاهل أن الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا، أنهم لم يقولوا لا إله إلا الله؟ وقال صلى الله عليه وسلم: "في هذه الأمة- ولم يقل منها- قوم يحقر أحكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم"2 3.

وكذلك أهل حلقة الذكر؛ لما رآهم أبو موسى في المسجد في كل حلقة رجل يقول: سَبَّحُوا مائة، هَلَّلُوا مائة. الحديث؛ فلما أنكر عليهم عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: والله ما أردنا إلا الخير. قال: كم من مرید للخير لم

يصبه⁴ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا: "أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم" 5 أو قال: "تراقيهم" 6. وأيم الله لا أدري أن يكون أكثرهم إلا منكم، قال عمرو بن سلمة: فما كان إلا قليل حتى رأوا أولئك يطاعنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النهروان مع الخوارج.

أفيظن هذا الجاهل المشرك أنهم يتركون ذلك؛ لكونهم يسبحون ويهللون ويكبرون؟ وكذلك المنافقون على عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم؛ ويصلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ويحجون معه، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} 7. أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا: لا إله إلا الله؟ وكذلك قاتل النفس بغير حق يقتل؛ أفيظن هذا الجاهل أنه لم يقل: لا إله إلا الله؟ وأنه لم يقلها خالصا من قلبه؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من عباده، وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسلك البهائم والدواب: {أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ} 8، حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب

1 البخاري: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (6930) , ومسلم: الزكاة (1066) والنسائي: تحريم الدم (4102) , وأبو داود: السنة (4767) , وأحمد (81/1), (131/1).

2 البخاري: المناقب (3610) , ومسلم: الزكاة (1064) , وأحمد (33/3, 60/3, (65/3).

3 فيه أن الخليفة الرابع -رضي الله عنه- قاتلهم ببغيهم، ولم يحكم بكفرهم، وكانوا متأولين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع.

4 أنكر ابن مسعود (رض) ذلك على قائله؛ لأنه بدعة كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره.

5 البخاري: المناقب (3610) , ومسلم: الزكاة (1064) , والنسائي: الزكاة (2578) وتحريم الدم (4101) , وأبو داود: السنة (4764) , وأحمد (4/3, 33/3, 60/3, 68/3, 73/3).

6 البخاري: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (6934) , ومسلم: الزكاة (1068).
7 - سورة النساء آية: 145.
8 - سورة الأعراف آية: 179.

ص -26- إلى العلم والفقه: قبلتنا مَنْ أَمَّاها لا يكفر 1.

فلا إله إلا الله: نَفِيْ وإثباتُ الإلهية كلها لله، فمن قصد شيئاً من قبر أو شجر أو نجم أو ملك مقرب أو نبي مرسل؛ لجلب نفع وكشف ضرر فقد اتخذهُ إلهاً من دون الله، فَكَذَّبَ بلا إله إلا الله؛ يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل.

الشرك بعبادة غير الله للتبرك

فإن قال هذا المشرك: لم أقصد إلا التبرك، وإنني لأعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر. فقل له: إن بني إسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت، كما أخبر الله عنهم، أنهم لما جاوزوا البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: **{يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}**، فأجابهم بقوله: **{إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}** 2 الآيتين.

وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الله أكبر إنها السنن 3. قلت والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى **{اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}**، لتركين سنن من كان قبلكم".

وقال تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ}** 4، وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره أنه رجل صالح كان يلت السوق للحاج، فمات فعكفوا على قبره. فيرجع هذا المشرك ويقول: هذا الشجر والحجر، وأنا أعتقد في أناس

1 يعني الشيخ -رحمه الله- أن هؤلاء الجهلة لم يفهموا قول أهل السنة: أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة، وأنهم يعنون به عدم التكفير بالذنب لا بالشرك، والكفر الذي لا يحتمل التأويل. والتأويل الذي يمنع تكفير الشخص المُعَيَّن: إنما يمنعه ما دام محتملا فإذا قامت عليه الحجة، وذهب احتمال التأويل ظهر أنه مُرتد ليس له عذر.

2 سورة الأعراف آية: 138.

3 الضمير هنا ضمير القصة والشأن، والسنن: سنن الله في الأمم، وهي قواعد الاجتماع والأحوال التي يستن فيها بعض الناس بما كان عليه غيرهم.

4 سورة النجم آية: 19.

ص -27-

صالحين أنبياء وأولياء، أريد منهم الشفاعة عند الله، كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله، فقل له: هذا مذهب الكفار بعينه، كما أخبر سبحانه بقوله: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}** 1 وقوله: **{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}** 2.

وقد ذكر أناسا يعبدون المسيح وعزيرا، فقال الله: هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون، وأنزل الله -سبحانه-: **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}** 3 الآيتين، وقال تعالى: **{وَيَوْمَ**

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ {4} الآيتين.

والقرآن، بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الشرك وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسوله، وأنهم أولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملهم، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} 5. وقال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} 6. وقال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 7. قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله.

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال: "أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده". وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر. فسئل عنه فقال: الرياء" 8.

لم يتخلص من عبادة الأوثان إلا أتباع ملة إبراهيم عليه السلام وبالجمله، فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء: أتباع ملة إبراهيم -عليه السلام-، وعبادتها في الأرض من قبل قوم نوح، كما ذكر الله، وهي كلها، ووقوفها وسدانتها وحجابتها، والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبقت الأرض، قال إمام الحنفاء: {وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} 9، كما قص الله ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين. وكفى في معرفة كثرتهم، وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن

1 سورة الزمر آية: 3.

2 سورة يونس آية: 18.

3 سورة الإسراء آية: 56.

4 سورة سبأ آية: 40.

5 سورة النساء آية: 48.

6 سورة الفرقان آية: 23.

7 سورة البقرة آية: 22.

8 أحمد (428/5).

9 سورة إبراهيم آية: 35.

ص -28- بَعَثَ النَّارَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتَسْعُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} 1. وقال: {وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ} 2. وقال: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} 3.

دلائل نبوة نبينا عليه السلام

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده، وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، بعث محمدا خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، وما زال في كل جيل مشهورا، وفي توراة موسى وإنجيل عيسى مذكورا، إلى أن أخرج الله تلك الدرة، بين بني كنانة وبني زهرة، فأرسله على حين فترّة من الرسل، وهداه إلى أقوم السُّبُل، فكان له صلى الله عليه وسلم من الآيات الدالة على نبوته قبل مبعثه ما يعجز أهل عصرها.

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا

أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ

الشَّامِ" 4. وولد صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل،

وانشق إيوان كسرى ليلة مولده حتى سمع انشقاقه وسقط أربعة عشر شرفة 5 وهو باق

إلى اليوم آية من آيات الله، وخمدت نار فارس، ولم تخدم قبل ذلك، وغاضت بحيرة

ساوة، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق عراق العجم وهمدان تسير فيها السفن،

وهي أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة، كأن لم يكن بها ماء، واستمرت على ذلك حتى بني مكانها مدينة ساوة وهي باقية إلى اليوم، وأرسلت الشهب على الشياطين كما أخبر الله بقوله: **{وَأَنَا كُنَّا نَفْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ}** 6 الآية. وأنبتة الله نباتا حسناً، وكان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه: "الأمين" لما جعل الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية؛ ووصل بُصْرَى من أرض الشام مرتين فرآه بحيرا الراهب فعرفه، وأخبر

1 سورة الإسراء آية: 89.

2 سورة الأنعام آية: 116.

3 سورة يوسف آية: 103.

4 أحمد (127/4).

5 كذا في الأصل: ولا بد أن يكون صوابه: أربع عشرة شرفة منه أو من شرفاته.

6 سورة الجن آية: 9.

ص -29- عمه أنه رسول الله، ونصحه أن يرده، فردّه مع بعض غلمانته، وقال لعمه: احتفظ به فلم نجد قدماً أشبه بالقدم الذي بالمقام 1 من قدمه. واستمرت كفالة أبي طالب له كما هو مشهور، وَبُعْضَ إليه الأوثان ودين قومه فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك.

والدليل على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقل والنقل: فأما النقل فواضح. وأما العقل فنبيه عليه القرآن: من ذلك: أن ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهى لا يناسب في

حق الله، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} 2 ومنه أن قول الرجل: إني رسول الله؛ إما أن يكون خير الناس وإما أن يكون شرهم وأكذبهم.

والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله: {هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} 3 الآيات. ومنه شهادة الله بقوله: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} 4. ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في هذه الآية.

ومنها- وهي أعظم الآيات العقلية-: هذا القرآن الذي تحداهم بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمه من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له، علمائهم وفصحاءهم، وتكريره هذا واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه، وإدخال الشبهة على الناس.

ومنها: تمام ما ذكرنا، وهو إخباره سبحانه- أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أُعْطُوا من الفصاحة والكمال والعلوم.

ومنها: نصرُهُ مَنْ اتَّبَعَهُ، ولو كانوا أضعف الناس.

ومنها: خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا، ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم.

ومنها: أنه رجل أُمِّي لا يخط ولا يقرأ الخط، ولا أخذ عن العلماء، ولا ادعى

1 مقام إبراهيم، يعني أنه -صلى الله عليه وسلم- أشبه الناس بإبراهيم.

2 سورة الأنعام آية: 91.

3 سورة الشعراء آية: 221.

4 سورة الرعد آية: 43.

ص -30- ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم، ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الأولى، كما قال تعالى: **{وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ}** 1.

الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك

وقال -رحمه الله تعالى-: ولما بلغ أربعين سنة، بعثه الله بشيرا ونذيرا **{وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا}** 2 ولما أتى قومه بلا إله إلا الله قالت قريش: **{أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}** 3. قال الترمذي: حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة وزيد بن مروان وغيرهم قالوا: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين مُسْتَخْفِيًا، ثم أعلن في الرابعة، فدعا عشر سنين يوافي الموسم كل عام فيقول: "أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكا في الجنة" 4. وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب، فيردون عليه أقبح الرد.

ولما أمره الله بالهجرة، هاجر وأظهر الله دينه على الدين كله، وقاتل جميع المشركين؛ ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر، وما زال يعلم الناس التوحيد، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد، حتى أزال الله الجهل والجهال، وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال.

وعن أنس قال: قال أناس: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. فقال صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس أنا محمدٌ عبدُ الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل" 5.

وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أنت سيدنا. فقال: "السيد الله" 6. وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ؛ إنما أنا عبد الله

ورسوله"7. وما زال صلى الله عليه وسلم مُعَلِّمًا لأصحابه هذا التوحيد، وَمُحَذِّرًا من الشرك، حتى أتاهم مرة وهم يتذكرون الدجال فقال: "ألا أخبركم بما هو أخوف

1 سورة العنكبوت آية: 48.

2 سورة الأحزاب آية: 46.

3 سورة ص آية: 5.

4 أحمد (492/3).

5 أحمد (249/3).

6 أبو داود: الأدب (4806).

7 البخاري: أحاديث الأنبياء (3445) , وأحمد (23/1, 24/1, 47/1, 55/1).

ص -31- ما أخاف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله.
قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)،
وحتى قال: (لا تحلفوا بأبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فَلْيَرِضْ،
ومن لم يرض فليس من الله في شيء"1 وحتى قال: "لا يقول أحدكم: ما شاء الله وشاء
فلان"2 وحتى قال: "لا تقولوا: لولا الله وفلان" وحتى قال: "لا يقول: أحكم عبدي
وأمتي"3 وحتى قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر"4.
وحذرهم من الشرك بالله في الأقوال والأعمال، حتى قال: "إنما أنا بشر، يوشك أن
يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: كتاب الله فيه الهدى والنور، ومن
تركه كان على الردى"5، وحتى قال: "خير الحديث: كتاب الله، وخير الهدي هدي
محمد، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"6 وحتى أنه لم

يترك النهي عند الموت والتحذير لنا من هذا الشرك حتى قال: "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"7. وحتى قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب" الحديث. وحتى حذرهم عن الكفر بنعمة الله، قيل: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته من آبائي، وقال بعضهم: هو كقوله: الريح طيبة والملاح حاذق، ونحو ذلك.

الصلاة والزكاة من حق الإسلام يقاتل تاركهما

ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين الأحاديث: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله"8، وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة"9. وقال: "إن الصلاة من حقها، والزكاة من حقها"، كما قال الصديق لعمر، ووافقه عمر وسائرهم على ذلك. ويكون ذلك أنه قال: قد شرع في العصمة وإلا بطل. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد من الحديثين في وقت ليعلم المسلمون أن الكافر إذا قالها جَبَّ الكفر عنه، ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين؛

1 ابن ماجه: الكفارات (2101).

2 أبو داود: الأدب (4980) , وأحمد (384/5, 398/5).

3 البخاري: العتق (2552) , ومسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها (2249) , وأبو

داود: الأدب (4975) , وأحمد (316/2, 423/2, 463/2, 484/2, 491/2,

508/2).

4 الترمذي: النذور والأيمان (1535) , وأبو داود: الأيمان والنذور (3251) ,

وأحمد (76/2, 125/2).

5 مسلم: فضائل الصحابة (2408).

6 مسلم: الجمعة (867) , والنسائي: صلاة العيدين (1578) , وابن ماجه: المقدمة (45) , وأحمد (371/3) , والدارمي: المقدمة (206).
7 مالك: النداء للصلاة (416).

8 البخاري: الإيمان (25) , ومسلم: الإيمان (22).

9 البخاري: الإيمان (25) , ومسلم: الإيمان (22).

ص -32- ليعلم أن تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة؛ وأما مجرد الإقرار فلا يعصمهم على الدوام 1 كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها الصديق رضي الله عنه ووافقه.
وقال ابن القيم في شرح المنازل 2: شهادة أن لا إله إلا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. هذا هو التوحيد الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نصبت القبله، وبه حقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإيمان من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة، وإن لم يقوموا بحسن الاستدلال بعد أن يسلموا من الشبهة والحيرة والريبة بصدق شهادة صحتها قبول القلب، وهذا توحيد العامة، الذي يصح بالشواهد، وهي إرسال الرسل الصنائع 3، ويجب بالسمع، ويوجد بتبصير الحق، وينمو على مشاهدة الشواهد 4. والحمد لله رب العالمين.

1. الإقرار بالشهادتين هو المدخل في الإسلام، والعنوان على ترك الكفر السابق، فهما كافيتان في العصمة من القتل في أثناء القتال؛ وأما الاعتداد بإسلام قائلها بعد ذلك: فلا بد فيه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لقوله تعالى: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال بعدها: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا

الزكاة فأخوانكم في الدين).

2 هذه العبارة التي نقلها هنا هي عبارة كتاب المنازل لا شارحه ابن القيم.

3 عبارة المنازل: وهي "أي الشواهد" الرسالة والصنائع. قال ابن القيم: ومقصوده أن الشواهد نوعان آيات متلوة وهي الرسالة، وآيات مرئية وهي الصنائع.

4 هذه آخر عبارة المنازل.

ص -33- رسالة في كلمة التوحيد

معرفة شهادة أن لا إله إلا الله

وله أيضا - قدس الله روحه ونور ضريحه- ما نصه:

اعلم -رحمك الله- أن فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم، فيجب على العبد أن يبحث عن معنى ذلك أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة والصوم، وتحريم الشرك والإيمان بالطاغوت أعظم من تحريم نكاح الأمهات والجدات. فأعظم مراتب الإيمان بالله: شهادة أن لا إله إلا الله.

ومعنى ذلك أن يشهد العبد أن الإلهية كلها لله؛ ليس منها شيء لنبي ولا لملك ولا لولي؛ بل هي حق لله على عباده والإلهية هي التي تسمى في زماننا السر. والإله في كلام العرب هو الذي يسمى في زماننا الشيخ والسيد الذي يُدعى ويستغاث به؛ فإذا عرف الإنسان أن هذا الذي يعتقده كثيرون في السماء 12، وأمثاله أو في قبر بعض الصحابة، هو العبادة التي لا تصلح إلا لله، وأن من اعتقد في نبي من الأنبياء 3 فقد كفر، وجعله مع الله إلها آخر، فهذا لم يكن قد شهد أن لا إله إلا الله.

ومعنى الكفر بالطاغوت: أن تَبْرَأَ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي، أو شجر أو حجر، أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه، ولو كان أباك وأخاك.

فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة والقباب على القبور.

- 1 السمان: شيخ كان أهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد.
- 2 السمان: شيخ كان أهل نجد يعتقدون ولايته فيدعونه في الشدائد.
- 3 أي أنه يُدعى ويُستَغاث به فيدعوه لكشف الضر وجلب النفع، سواء اعتقد المعتقد أنه يفعل ما يدعي له بنفسه أو بتأثيره عند الله -تعالى-، فإن اعتقاد هذا التأثير في إرادة الله وفعله: عين الإشراف في حصول المقصود، فهو من الشرك.

ص -34- وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول: لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت.

وهذا كلام يسير، يحتاج إلى بحث طويل واجتهاد في معرفة دين الإسلام، ومعرفة ما أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، والبحث عما قال العلماء في قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} 1، ويجتهد في تعلم ما علّم الله رسوله، وما علّمه الرسول لأمته من التوحيد. ومن أعرض عن هذا فطبع الله على قلبه، وآثر الدنيا على الدين، لم يعذره الله بالجهالة، والله أعلم.

1 سورة البقرة آية: 256.

رسالة أخرى في كلمة التوحيد

كلمة التوحيد تنفي أربعاً وتثبت أربعاً

قال -رحمه الله تعالى-:

اعلم -رحمك الله- أن معنى لا إله إلا الله: نَفْيٌ وإثباتٌ، تنفي أربعة أنواع؛ وتثبت أربعة أنواع، تنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالآلهة: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر، فأنت مُتَّخِذُ إلهًا. **والطواغيت:** مَنْ عُبِدَ وهو راضٍ أو رُشِّحَ للعبادة، مثل السمان أو تاج، أو أبي حديدة. **والأنداد:** ما جذبك عن دين الإسلام من أهل، أو مسكن أو عشيرة، أو مال فهو نِدٌّ؛ لقوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} 1.**

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته؛ مُصَدِّقًا لقوله تعالى: **{اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} 2.**

وتثبت أربعة أنواع: القصد: وهو كونك ما تقصد إلا الله. والتعظيم والمحبة؛ لقوله عز وجل: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} 3** والخوف والرجاء؛ لقوله تعالى:

{وَإِنْ}

1 سورة البقرة آية: 165.

2 سورة التوبة آية: 31.

3 سورة البقرة آية: 165.

ص -35- **يَمَسَّنِكَ اللَّهُ بَضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ**

لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} 1.

فمن عرف هذا، قطع العلاقة مع غير الله. ولا تكبر عليه جَهَامَةُ الباطل، كما أخبر الله عن إبراهيم -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- بتكسيره الأصنام وتَبَرِّيهِ من

قومه؛ لقوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ} 2 الآية.

1 سورة يونس آية: 107.

2 سورة الممتحنة آية: 4.

مذاكرة الشيخ محمد مع أهل بلد حريملة في كلمة التوحيد والجمع بين التوحيد والشرك

قال لهم: لا إله إلا الله قد سألنا عنها كل من جاءنا منكم من مطوع¹ وغيره، ولا لقينا عندهم إلا أنها لفظة ما لها معنى، ومعناها: لفظها، ومن قالها فهو مسلم، وقد يقولون لها معنى لكن معناها لا شريك له في ملكه.

ونحن نقول: لا إله إلا الله ليست باللسان فقط؛ لا بد للمسلم إذا لفظ بها أن يعرف معناها بقلبه، وهي التي جاءت لها الرسل وإلا الملك ما جاءت الرسل له. وأنا أُبَيِّنُ لكم إن شاء الله- مسألة التوحيد، ومسألة الشرك.

تعرفون المشهد فيه قبة؛ والذي صلى الظهر من الرجال، قام وتقبل القبر، وولى الكعبة قفاه وركع لِعَلِيٍّ ركعتين: صلاته لله توحيد، وصلاته لِعَلِيٍّ شرك، أنتم فهتمم؟ قالوا: فهمنا، صار هذا مشركا صلى لله، وصلى لغيره.

ولله سبحانه- حق على عبده في البدن والمال. والصلاة زكاة البدن، والزكاة في المال حق له تعالى فإذا زكيت لله وخرجت بشيء تُفَرِّقُهُ عند القبة؛ فزكاتك لله توحيد، وزكاتك للمخلوق شرك.

1 المطوع: هو الذي يُعَلِّمُ العامة ويفقههم، وهو دون العالم.

ص -36- كذلك سفك الدم إن دُبِحَتْ لله توحيد، وإن ذبحت لغيره صار شركاً، كما قال تعالى: **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ}** 1 والنسك: سفك الدم 2.

كذلك التوكل من أنواع العبادة، إن توكلت على الله صار توحيداً، وإن توكلت على صاحب القبة صار شركاً. قال تعالى: **{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}** 3. وأكبر من ذلك كله: الدعاء، تفهمون أنه يُذَكَّرُ 4 أن الدعاء مخ العبادة؟ قالوا: نعم، قال الله تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}** 5 أنتم تفهمون أن هنا من يدعو الله ويدعو الزبير، ويدعو الله ويدعو عبد القادر، الذي يدعو الله وحده مخلصاً، وإن دعا غيره صار مشركاً. فهتم هذا؟ قالوا: فهمنا.

قال الشيخ: هذا إن فهتموه: فهذا الذي بيننا وبين الناس، فإن قالوا: هؤلاء يعبدون أصناماً يدعونهم يريدون منهم، ونحن عبيد مذنبون وهم صالحون ونبغي بجاههم، فقل لهم: عيسى نبي الله - عليه السلام - وأمه صالحة، والعزير صالح، والملائكة كذلك، والذين يدعونهم أخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا منهم ما أرادوا بجاههم إلا قرينة وشفاعة، وقرأ عليه الآيات في الملائكة في قوله تعالى: **{وَيَوْمَ يُحْشَرُ لَهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ}** 6 الآية، وفي الأنبياء قوله: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}** 7 الآية، وفي الصالحين: **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ}** 8 الآية، ولم يفرق بينهم النبي صلى الله عليه وسلم.

1 سورة الأنعام آية: 162.

2 أي: لأجل القرينة كالأضحية، وفدية الإحرام، ومثلها النذر لله وحده.

3 سورة هود آية: 123.

4 أي يذكر في الحديث عن النبي (ص).

5 سورة الجن آية: 18.

6 سورة سبأ آية: 40.

7 سورة النساء آية: 171.

8 سورة الإسراء آية: 56.

رسالة أخرى في كلمة التوحيد

كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام

وله أيضا -رحمه الله تعالى:-

اعلم -أرشدك الله- أن الله خلقك لعبادته، وأوجب عليك طاعته، ومن أفرض عبادته عليك: معرفة لا إله إلا الله علما وقولا وعملا، والجامع لذلك قوله تعالى:

ص -37- {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً} 1. وقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ

مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} 2.

فاعلم أن وصية الله لعباده: هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام، فعند ذلك افترق الناس سواء جهلا أو بغيا أو عنادا. والجامع لذلك: اجتماع الأمة على وفق قول الله تعالى: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} 3، وقوله: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} 4 الآية.

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد، وأقر به أن يحبه بقلبه، وبنصره بيده

ولسانه، وينصر من نصره ووالاه وإذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه، ويخذله بلسانه، ويخذل من نصره ووالاه باليد واللسان والقلب هذه حقيقة الأمرين، فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم: **{وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا}** 5. فنقول: لا خلاف بين الأمة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب الذي هو العلم، واللسان الذي هو القول، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي، فإن أخل بشيء من هذا، لم يكن الرجل مسلماً، فإن أقر بالتوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفر عون وإبليس، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً، وهو لا يعتقد به باطناً فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر، والله أعلم.

توحيد الألوهية هو الفارق بين الكافر والمسلم قال -رحمه الله-: وهو نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية: أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم، وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام. فينبغي لكل مسلم أن يميز بين هذا وهذا، ويعرف أن الكفار لا ينكرون أن الله الخالق الرازق المدبر، قال الله تعالى: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}** 6 الآية.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ}

1 سورة آل عمران آية: 103.

2 سورة الشورى آية: 13.

3 سورة الشورى آية: 13.

4 سورة يوسف آية: 108.

5 سورة آل عمران آية: 103.

ص -38- مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ {1} الآية.

فإذا ثبت لك أن الكفار يقرون بذلك عرفت أن قولك، لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، لا يُصَيِّرُكَ مسلماً حتى تقول: لا إله إلا الله مع العمل بمعناها. فهذه الأسماء كُلُّ منها له معنى يخصه.

أما قولك: الخالق؛ فمعناه الذي أوجد جميع مخلوقاته بعد عدمها. وأما قولك: الرازق؛ فمعناه أنه لما أوجد الخلق أجرى عليهم أرزاقهم. وأما المدبر: فهو الذي تنزل الملائكة من السماء إلى الأرض بتدبيره، وتصعد إلى السماء بتدبيره، ويسير السحاب بتدبيره، وتصرف الرياح بتدبيره، وكذا جميع خلقه، هو الذي يدبرهم على ما يريد. فهذه الأسماء تتعلق بتوحيد الربوبية الذي يقر به الكفار.

وأما توحيد الألوهية فهو قولك: لا إله إلا الله، وتعرف معناها كما عرفت معنى الأسماء المتعلقة بالربوبية، فقولك: لا إله إلا الله نَفْيٌ وإثباتٌ: فتنفي الألوهية كلها عن غير الله، وتثبتها لله وحده، فمعنى الإله في زماننا: الشيخ والسيد الذي يقال فيهم سر ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة.

فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم؛ نبيا كان أو غيره هذا الاعتقاد فقد اتخذها إلها من دون الله، فإن بني إسرائيل لما اعتقدوا في عيسى ابن مريم وأمه سمّاهم الله إلهين، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} 2.

ففي هذا دليل على أن من اعتقد في مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذها إلها،

فإذا كان الاعتقاد في الأنبياء هذه حاله فما دونهم أولى.

1 سورة العنكبوت آية: 61.

2 سورة المائدة آية: 116.

ص -39- وأيضا فإن من تبرك بحجر أو شجر، أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بهم، فقد اتخذهم آلهة¹.

والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، يريدون بذلك التبرك، قال: "الله أكبر إنها السنن، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَرٍّ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} 2".

فوصف قول الصحابة في ذات أنواط بقول بني إسرائيل وسماه إلهًا³. ففي هذا دليلٌ على أن من فعل من ذلك شيئاً مما ذكرناه: فقد اتخذهُ إلهًا. الإله الذي لا تصلح العبادة إلا له هو الله وحده

والإله هو: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله وحده، فمن نذر لغير الله أو ذبح له فقد عبده، وكذلك من دعا غير الله، قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ} 4، وفي الحديث:

1 كذا في الأصل بضمير العقلاء. ويعني بالتبرك المنافي للتوحيد: ما فشا في العوام من اعتقاد أن هذه الأشياء المُتَبَرَّك بها تنفع فتشفي من المرض وبرد البلاء وغير

ذلك، بخلاف التبرك المَرُوي عن بعض الصحابة بآثار النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - وبدم حجامته ونخامته، وتبرك الشافعي بقميص الإمام أحمد الذي روي بالسند كما في طبقات السبكي، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية قال: إن هذه الرواية غير ثابتة، وعلى تقدير ثبوتها يراد بها وبأمثالها ذكرى الحب كالمعهود من عشاق الحسان.

2 سورة الأعراف آية: 138: 140.

3 إن الذين قالوا للنبي (ص) ما ذُكرَ كانوا حديثي عهد بالشرك، فظنوا أن ما يجعله لهم النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - من ذلك يكون مشروعاً لا ينافي الإسلام. وأما بنو إسرائيل الذين طلبوا من موسى جعل الآلهة لهم فكانوا جاهلين بحقيقة التوحيد بما تَرَبَّوا عليه من شرك الفراعنة كما تقدم في حاشية سابقة.

4 سورة يونس آية: 106.

ص -40- "إن الدعاء مخ العبادة" 1، وكذلك من جعل بينه وبين الله واسطة، وزعم أنها تقربه إلى الله فقد عبده.

وقد ذكر الله ذلك عن الكفار؛ فقال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} 2. وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} 3. وكذلك ذَكَرَ عن الذين جعلوا الملائكة وسائط فقال: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} 4.

فذكر سبحانه أن الملائكة نَزَّهوه عن ذلك، وأنهم تبرؤوا من هؤلاء، وأن عبادتهم كانت للشياطين الذين يأمرونهم بذلك. وذكر سبحانه عن الذين جعلوا الصالحين وسائط، فقال تعالى: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتُهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا{5}. وذكر سبحانه أنهم لا يملكون كشف الضر عن أحد ولا عن أنفسهم، وأنهم لا يُحوّلونهُ عن أحد، وأنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه. فهذا يثبت لك معنى لا إله إلا الله؛ فإذا عرفت حال المعتقدين في عيسى بن مريم والمعتقدين في الملائكة، والمعتقدين في الصالحين، وحالهم معهم أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فضلا عن غيرهم عرفت أن مَنْ اعتقد فيمن دونهم فهو أضل سبيلا، فحينئذ يثبت لك معنى لا إله إلا الله، والله أعلم.

1 الترمذي: الدعوات (3371).

2 سورة يونس آية: 18.

3 سورة الزمر آية: 3.

4 سورة سبأ آية: 40: 41.

5 سورة الإسراء آية: 56، 66.

ص -41- رسالة في حقيقة الإسلام من الكتاب والسنة ومن خالفهما من

أدعياء العلم والعرفان

قال -رحمه الله تعالى:-

اعلم -وقفنا الله وإياك للإيمان بالله ورسله- أن الله سبحانه قال في كتابه: **{فَاقْتُلُوا**

الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا{1}. فتأمل هذا الكلام، وأن الله أمر بقتلهم

وحصرهم والقعود لهم كل مرصد إلى أن يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا

الزكاة.

وأيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى"2 فهذا كلام رسوله. وقد أجمع العلماء عليه من كل مذهب، وخالف ذلك من هؤلاء الجاهل الذين يسمون العلماء فقالوا: من قال لا إله إلا الله فهو المسلم، حرام الدم والمال. وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام في حديث جبريل لما سأله عن الإسلام فقال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا"3.

فهذا تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يقولون: البدو إسلام؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله، فمن سمع كلامهم وسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا بد له من أحد أمرين: إما أن يصدق الله ورسوله ويتبرأ منهم ويكذبهم، وإما أن يصدقهم ويكذب الله ورسوله؛ فنعوذ بالله من ذلك، والله أعلم.

فتأمل أصول الدين:

(الأولى): أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل.

(الثانية): بيان ما اختلف فيه الناس أن الواجب عليهم اتباع

1 سورة التوبة آية: 5.

2 البخاري: الإيمان (25)، ومسلم: الإيمان (22).

3 مسلم: الإيمان (8)، والترمذي: الإيمان (2610)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (4990)، وأبو داود: السنة (4695)، وابن ماجه: المقدمة (63)، وأحمد (27/1، 51/1، 107/2).

ص -42- ما أنزل إليهم من ربهم.

(الثالثة): أن مَنْ لم يرفع به رأساً فهو منافق جاهل.

(الرابعة): رد ما تنازعوا فيه إلى الكتاب والسنة.

(الخامسة): أن مَنْ اتَّبَعَ الهدى الذي جاءت به الرسل من عند الله لا يضل ولا يشقى.

(السادسة): أن مَنْ أَعْرَضَ عن ذلك حُشِرَ أَعْمَى ضالاً شقيماً مُبْعِداً.

(السابعة): أن الذين في قلوبهم مرض يتبعون ما تشابه منه.

تكفير المسلم بالشرك بالله وموالاته المشركين على المؤمنين

(قال الشيخ محمد -رحمه الله تعالى-:

إذا شهد الإنسان أن هذا دين الله ورسوله؛ كيف لا يَكْفُرُ مَنْ أنكره، وَقَتَلَ مَنْ آمَنَ به

وَحَبَسَهُمْ؟ كيف لا يَكْفُرُ مَنْ أتى المشركين يحثهم على لزوم دينهم، وَيُزَيِّنُهُ لهم،

ويحثهم على معاداة الموحدين وأخذ أموالهم؟ كيف لا يكفر؛ ويشهد أن هذا الذي يحث

عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنكره، ونهى عنه وسماه الشرك بالله؟ وهذا

الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله.

واعلم أن الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا أشرك بالله، أو صار مع المشركين على

الموحدين ولم يشرك: أكثر من أن تُحْصَرَ من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام العلماء.

وأنا أذكر لك آية من كلام الله؛ أجمع أهل العلم على تفسيرها، وأنها في المسلمين، وأن

الرجل إذا قال ذلك فهو كافر في أيِّ زمان كان. قال الله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ

إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} 1 الآية.

وفيهما ذكر أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت

في الصحابة؛ لما فتنهم أهل مكة، وذكروا أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه

مع بغضه لذلك وعداوة أهله لكن خوفا منهم، فهو كافر بعد إيمانه؛ فكيف بالمؤمن في

زماننا إذا تكلم بالبصرة أو الأحساء أو مكة أو غير ذلك، خوفا منهم لكن قبل الإكراه؟

إذا كان هذا يكفر، فكيف بمن كان معهم وسكن معهم، وصار من جملتهم؟ فكيف بمن أعانهم على الشرك وزينه لهم؟ فكيف بمن أمرهم

1 سورة النحل آية: 106.

ص -43- بقتل الموحدين وحثهم على لزوم دينهم؟

فأنتم -وفقكم الله- تأملوا هذه الآية، وتأملوا مَنْ نزلت فيه، وأجمع العلماء على تفسيرها، وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله، نطلبهم دائما للرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال، فلا يجاوبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ وأمثالهم. ونسأل الله أن يوفقكم لدينه القيم، ويرزقكم الثبات عليه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ذبيحة المرتد وما يكفر به المسلم وحكمه

وسئل عن ذبيحة المرتد، وتكفير من يعمل بفرائض الإسلام إلخ.

فأجاب: قوله تعالى: **{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ}** 1 الآية. وقوله: **{فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** 2 الآيات، لا اختلاف في حكمهن بين أحد عرف كتاب الله. ولكن الكلام في حكم الذابح هل هو مسلم فيدخل حكمه في حكم الآية؛ إذا ذبح وسمى الله عليها؛ فلو ترك التسمية نسيانا حلت ذبيحته، وكانت من الطيبات، بخلاف من ترك التسمية عمدا فلا تحل ذبيحته. وكذلك أهل الكتاب أعني: اليهود والنصارى، ذبيحتهم ومناكحتهم حلال؛ لقوله تعالى **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ}** 3 الآية.

وأما المرتد فلا تحل ذبيحته؛ وإن قال فيها: بسم الله؛ لأن المانع لذلك ارتداده عن دين الإسلام، لا ترك التسمية؛ لأن المرتد شر عند الله من اليهود والنصارى من وجوه: (أحدها): أن ذبيحته من الخبائث.

(الثانية): أنها لا تحل مناكحته بخلاف أهل الكتاب.

(الثالثة): أنه لا يُقَرُّ في بلد المسلمين لا بجزية ولا بغيرها.

(الرابعة): أن حكمه يضرب عنقه بالسيف؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "من بدل دينه

فاقتلوه"4، بخلاف أهل الكتاب.

فإذا تقرر هذا عندك: فاعرف أن الكلام في تحريم ذبيحة المرتد، لا في أن الله أمر

بأكل ما سمي الله عليه، ولا تحليل طعام أهل الكتاب.

تكفير من يعمل بفرائض الإسلام

وقولكم: لِمَ تُكْفَرُونَ مَنْ يعمل بفرائض الإسلام الخمس؟ فقد كان في زمن

1 سورة المائدة آية: 4.

2 سورة الأنعام آية: 118.

3 سورة المائدة آية: 5.

4 البخاري: الجهاد والسير (3017) واستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (6922)

, والنسائي: تحريم الدم (4059) , وأبو داود: الحدود (4351) , وابن ماجه: الحدود

(2535) , وأحمد (217/1, 282/1, 322/1).

ص -44- الرسول صلى الله عليه وسلم مَنْ انتسب إلى الإسلام ثم مَرَقَ من

الدين1 كما في الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء بن

عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه؛ ليقتله ويأخذ ماله، وقد انتسب إلى

الإسلام وعمل به.

ومثل قتال الصديق والصحابه -رضي الله عنهم- مانعي الزكاة وسبي ذراريهم

وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ما عملوا بشرائع الإسلام.

ومثل اجتماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك، وقد جرى وقائع لا تُعدُّ ولا تُحصى، ومثل بني عُبيد الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرها بالإسلام، وصلاة الجمعة والجماعة، ونصب القضاة والمفتين. لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا: لم يتوقف أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة، ومع قولهم: لا إله إلا الله، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا منكم.

فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يُكفّر الإنسان، ويحل دمه وماله، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب، والذين قال الله فيهم: **{يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ}** 2 الآية.

أسمعت! الله كفّرهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويصومون، ويحجون، ويوحدون الله سبحانه. وكذلك الذين قال الله فيهم: **{قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ}** 3 الآية، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب 4، فصرح

1 كذا في الأصل وقد سقط منه الخبر أي كذلك يحكم بكفره ويقتل.

2 سورة التوبة آية: 74.

3 سورة التوبة آية: 65.

4 تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم- أو الشك في نبوته، قيل: هي قول بعضهم: إن كان ما يقول محمد حقا فهم شر من الحمير، وقيل: هي استهزاؤهم

بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية أن الذي يصلي ويصوم ويجاهد قد يُحْكَم بكفره بكلمة استهزاء بالدين أو بالرسول صلى الله عليه وسلم.-

ص -45- الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك؛ فتأمل - أرشدك الله- من انتسب إلى الإسلام مرق من الإسلام؛ لما أظهر خلاف ذلك، فكيف بما هو أظهر من ذلك؟ فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من انتسب إلى الإسلام من مرق منه، مع عبادته العظيمة، حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فعلم أن المُنْتَسِبَ إلى الإسلام في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام.

الإسلام لا يصلح إلا بمعاداة أهل الشرك

وقولكم: هل يعلمون للنبي صلى الله عليه وسلم ديناً إلا الإسلام الذي جاء به جبرئيل؟ فمعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يدعو الناس إلى التوحيد سنين عديدة، قبل أن يدعوهم إلى أركان الإسلام.

ومعلوم أن التوحيد الذي جاء به جبرئيل أعظم فريضة، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من أركان الإسلام كفر، ولو عمل بكل ما جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل من نوح إلى محمد لا يكفر؛ لأنه يقول: لا إله إلا الله؛ أو لأنه يفعل كذا وكذا؟ فما الذي فَرَّقَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش؟ هل هو عند الملك والرياسة والتطاؤل؟ أو عند لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ فتفارقوا عند ذلك وقالوا:

{أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} 1.

أتظن أن قريشا لو يعلمون أن هذا الكلام مجرد قول بلا عمل، وأنهم يقولون لا إله إلا الله، وينشؤون على دينهم، ولا يضرهم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم يرضى منهم

بذلك وأنه ما يحاربهم ولا يكفرهم ولا يقاتلهم؟ أتراهم يتركون التلفظ بلا إله إلا الله كما هو اعتقادكم، أو دين الإسلام لفظاً لا إله إلا الله؟ وأن من قالها فهو المسلم، وتؤثرون عليها حديث جبرئيل، وحديث: بني الإسلام على خمسة أركان، وحديث أمرت أن أقاتل الناس. وحديث أسامة. وحديث من صلى صلاتنا. وحديث أنه كان إذا أغار على القرية؛ إن سمع أذاناً كف عنها، وإلا أغار عليها، ولكن الأمر كما قال عمر رضي الله عنه: "إنها لا تنقض عرى الإسلام عروة عروة حتى ينشأ في الإسلام

1 سورة ص آية: 5.

ص -46- من لا يعرف الجاهلية". فذلك أنه إذا لم يعرف من الشرك ما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو فوقه أو دونه أو شر منه، فتَنَقَّضَ بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، وَيُبَدِّعُ بمتابعة الرسول، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإن كان سؤالك مُسْتَرْشِداً فاسأل عن قول الله في إبراهيم: **{وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}** 1. قال: وما نجا من شر هذا الشرك الأكبر إلا مَنْ جَرَدَ التوحيد لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بِمَقْتَبِهِمْ إلى الله.

فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك، وإن لم يعادهم فهو منهم ولو لم يفعل، واسأل عن معنى قوله تعالى: **{لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}** 2 إلى قوله: **{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ}** 3، وقوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}** 4

إلى قوله: {وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} 5
الآيات.

وقال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} 6 الآيات، وما أشبه ذلك. وأسأل عن سبب
نزول الآية، وما معناها، وإن كان غير ذلك، فلا تأس على الهالكين. وصلى الله على
محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
(انتهت رسائل الشيخ محمد عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -).

1 سورة إبراهيم آية: 35.

2 سورة المائدة آية: 78.

3 سورة المائدة آية: 81.

4 سورة الممتحنة آية: 1.

5 سورة الممتحنة آية: 4.

6 سورة المجادلة آية: 22.